

الاستاذ

الجزء الثاني والعشرون من السنة الاولى

يوم الثلاثاء ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣١٠ و ١٠ طوبه سنة ١٦٠٩

الموافق ١٧ يناير سنة ١٨٩٣

❖ لَوْ كُنْتُمْ مِثْلَنَا لَفَعَلْتُمْ فِعْلَنَا ❖

هي كلمة اوروبا التي ترددها على اسماع الشرقيين كلما فعلت فعلاً يحملها عليه الاستعمار الملكي او الانتشار الديني وقد احكمت التأليف بين القوتين الدينية والملكية فجعلت الاولى سفير وداد والثانية فارس جلاد وقد اضاف كل ملك اوروبي الى عنوان الملك حماية الدين فيقول في مخاطباته ملك او امبراطور كذا وحامي الدين المسيحي او عبارة اشد وقعاً في النفوس من هذه ليعلم الامم انه القابض على زمامي السياسة والدين فيؤيد رجال السياسة بتنفيذ ما يروونه من لوازم تأييد الملك واتباعه ويساعد رجال الدين بما يبعث فيهم الغيرة على بثه والدعوة اليه فنرى رجال القوة ماشين على نسق واحد كل فيما فوض اليه لا تفتر لهم هممة ولا ترقد لهم عين عن وظائفهم التي فيها حياة الدين والملك وزيادة شرف الامم . والامم اكونهم ادركوا ما قصده الملوك ورجال السياسة وخدمة الدين اندفعوا معهم اندفاع السيل في

المنعدرات ففقدوا الجمعيات الدينية والعلمية والصناعية والتجارية والزراعية
والسياسية واخذ كل فريق في احسان ما كلف به نفسه واوجبه عليه مجارة
جاره في الملك ومباراة نظيره في العلم او العمل ومسابقة غيره ممن قصدوا
قصده فاشتغلوا بما اشتغل به . وقد بلغوا القصد في بلادهم وخرجوا من
بلادهم محمولين على قوتي الدين والملك سائرين على نور العلم والصناعة
فدخلوا الاقطار الشرقية سائحين ومتجربين واستوطنوها مراقبين ومتغالبين
وجرائدكم الكثيرة العدد برزت تتسابق في ميادين الانشاء بمواضيع مبتكرة
ومقالات مطولة وعبارات مزيّنة فاصبحت ناقلة للاخبار ناشرة للاداب معلمة
للعلم مويّدة للمبادئ حاثّة على المقاصد منشطة للهمم مرشدة للامم منبهة
على الاغاليط محذرة من التقاعد والتكاسل والغفلة عن وثبة الجار او معاكسة
المتاخم ناشرة للفضائل مؤرخة لرجال الفضل والعمل حافظة لسير الملوك
داعية افراد الامم الى ما فيه خير البلاد وتأيد الدين خادعة للشرقيين
لاعبة بافكار رجالهم خاتلة لعظمائهم مقبجة لما هم عليه من دين وسير ومعيشة
وانتماء وصناعة وتجارة وزراعة منادية بينهم بان الغرب محل التشريع ومنبع
العلم ومرجع الفضائل لا حياة للام الا بما تاخذه عنه ولا مجد لمن لم ينتم اليه
ولا فضل لمن لم يتعلم فيه ولا شرف لمن لم يتكلم بلسانه ويتعبد بمبادئه ويتقيد
بماداته . هذه كليات تحتاج لبيان جزئياتها التي لا تحتاج لبرهان بعد
ظهورها للعيان

قالت اوروبا انكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صنع الاثاث واللباس
وانكم في حاجة الى مصنوعنا ولا تصلون اليه الا بعقد المعاهدات التجارية

وبذا تمكنت من ادخال مصنوعها في الشرق لتحول الثروة اليها فامانت
 ما كان يصنعه الشرقيون وحجرت على ما لا بد منه من صناعة الشرق الهندية
 وغيرها فما يصنع في الهند والصين والعجم والاناطول وغيره انما ينفق ويباع على
 يد الاوروبي كما يباع وينفق مصنوع بلاده فالشرقيون أجراء يزرعون
 ويحصدون ويصنعون ليروا جوا تجارة اوروبا ويعظموا ثروتها ويؤيدوا قوتها
 الملكية بالارادات المالية فلا حظ لهم في الوجود ولا رغبة لهم في الملك
 كأنهم امام اوروبا جنس خلق لخدمتها لتقاعدهم عن مجارة اهلها ومما زادهم
 بعداً عن الصناعة وثمراتها وجود دخلاء أجراء يزعمون انهم نصحاء يثبطون
 الهمم ويرمونهم بالضعف ويوهمونهم عدم صلاح بلادهم للصناعة ويفرونهم
 بتعذر ذلك لتعذر المعدات والآلات وهم يعلمون ان كثيراً من الممالك التي
 لا آلات فيها استعانت بآلات اشترتها من الغير واحيت صناعتها الوطنية
 وحثمت على اهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير حفظاً
 لثروة اهلها فهم بصرفهم الهم بهذه الترهات يريدون بقاء الشرقي في قبضة
 الغربي احنياجاً اليه وترك الشرق ميداناً لمسابقة رجال اوروبا فلا يجدون
 مصنوعاً يعطل عليهم ولا معرضاً عن صناعتهم فتبور وضعفاء العقول يغترون
 بخداع هذا الدخيل ويظنون انه من المخلصين فلا يتحركون لعمل من الاعمال
 لوقوعهم في اليأس والقنوط بالمفتريات ورجال اوروبا تعجب من تقاعدهم
 ونقول لو كنتم مثلنا لفعلمتم فعلنا

قالت اوروبا ان وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخليقكم باخلاق آبائكم
 بقاء على العجمية والتوحش فلا بد من عباراتنا في حركاتنا المدنية لتساونا

في الرتبة وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر واباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران فغفل الشرفيون عما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف وانكسب الاغبياء والمغفلون على الخمر فسادت اخلاقهم وضعفت عقولهم وفسدت عقائدهم وتحولوا الى المومسات فارتكبوا الاثم بارتكاب المحرم والعار باتخاذهم الوطنية آلة للفحش وجعلها عرضة للأجنبي بعدم غيرتهم عليها فهم في رتبة القواد بل هم هم ومال فريق الى القمار فباع الغيط والدار واضطر لبيع حلى زوجته برضاها او بسرقة منها والكل عطف على المرايين يقترض ويصرف في الملاحى ومتلفات العقل والجسم والملك حتى اسكن الاوروبي مكانه وصار له خادماً بعد ان كان عظيماً محترماً وكلما تهالك الشرفيون على الخمر والملاحى واصلت اوروبا رسائل الخمر وارتحل اليهم المومسات وارباب الملاحى تحويلاً للثروة وازهاقاً لروح الدين حتى اصبح المتلبسون بهذه القبائح والفضائح لشرقيين ولا غربيين واتخذتهم اوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها الى مقاصدها من الشرق وهي تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية وما هي الا التوحش والرجوع الى الحيوانية المعضة اذ لو كان الانغماس في الملاحى ومفسدات العقل والدين من المدنية لما تحاشته اوروبا وعدت مرتكبه همجياً جاهلاً مجنوناً ولما وضعت القوانين الشديدة للمسكرات ومنع التلامذة منها ولما كتبت الرسائل العديدة في ذم الخمر والفسوق وحرمان ضعفاء العقيدة والمتقاعدين عن العبادة وحضور الكنائس وانما هذه اشراك وفخاخ تنصب في طريق الشرقي حتى لا يخطو خطوة الا وقد وقع في حباله اوروبا . ولما رأت اوروبا ان الشرقيين

لا يشبهون من غفلتهم ولا يعقلون مقاصد الدول ولا يدركون مكاييد الملوك ولا يسعون في صالح بلادهم ولا يحافظون على دينهم ولا يعرفون شرف لغاتهم ولا يحفظون كراسي ملوكهم ولا يهمهم ضياع اوطانهم اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء وهي نقول لهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قالت اوروبا ان الشرق في حاجة لمدخل اوروبا لاصلاح ادارته وماليته وتجارته وتهذيب أممه بالتعاليم الاوروبية واجمع رجال أوروبا على جعله قسماً مقابلاً لها وربطوا عزمهم على ضمهم اليهم الجزء بعد الجزء والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لي وهذا لك ثم تلوا في الدخول فيه تلوى الافعى وملكوا بعضه بالتجارة والبذل المالي وبعضه بدعوى مس حق دولة او اهانة بواب قنصل او حفظاً لطريق مملكة . والداهية الدهياء ان ملوك الشرق وعظماءه ملأوا قلوب أممهم بالاوهام وخوفهم من الاوروبي وارهبوهم باسم اللورد والبارون والكونت والمركيز والجنرال والاميرال والسير والماجور حتى خيلوا لهم ان الاوروبي ملك يمكنه قلب المملكة او جني يقدر على حرقها فامتلاً ورعباً وخوفاً ولبسوا ثوب ذل وهوان وذلك بسبب المعاملة التي يعاملونهم بها في وقائعهم مع الاوروبيين وقد اضطروا كثيراً من الوجهاء والنبهاء الذين ينتفع بهم الوطن والملك الى الاحتماء بالغير تفادياً من تلك المعاملة فكانوا اقوى يد للاوروبي في تداخله واستيلائه على ممالكهم فلوربوا رجالهم على الحراسة ومرنوهم على الاعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة وهذبوهم بالادبيات وصانوهم من المفاصد العقلية وعلموهم

العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر المالية ونهبوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية عارفة بما يقدمهم وينفعهم واقفونهم على توار يخ آباءهم ومسابقات الدول في بلادهم ودسائس اوروبا وحذروهم من رجال الفتن والاجراء الذين يخدمون اوروبا باسم المصلحة الشرقية اوجدوا امامهم رجالاً واي رجال ولكنهم اهملوا ممالكهم واهدروا حقوق رعاياهم فصبح ملوك اوروبا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا اليه من الضعف والاضمحلال ويقولون لو كنتم مثلنا لفعلمت فعلنا

ولا لوم على الاوروبيين في ذلك فانهم انما يسمعون في مصالحهم واتساع ممالكهم وتجارتهم والشرقيون يرونهم يعملون الاعمال العظيمة في بلادهم وهم ينظرون اليهم نظر المغشي عليه من الموت ولا يتحركون لمجارتهم او لايقاف تيار تداخلهم ويرونهم يسلبون اعمال امرائهم وولاتهم عملاً فعملاً وهم ناكسو الرؤس منكشون في ثيابهم . تسمع منهم اصوات عالية في خلواتهم يظنها السامع اصوات اناس حريصين على المجد والشرف فاذا خرجوا الى الطرقات ساقهم اضعف اوروبي بعصاه وهم بين يديه كأنهم قطعان الاغنام تساق الى الحظائر . بمن نقيس الجزائري اذا شاركه التونسي والهندي والمصري والقبرسي والعدي والمسطي والجزنجباري والبرنوي والبخاري والمروي والطاغستاني والتركماني والسرخسي وقابله المراكشي والافغاني برعدة الخائف الوجل ونظر اليه العجمي والعراقي واليميني والحجازي والنجدي والشامي والسوري والطارابلسي والاناطولي نظر المتوجس الحذر الذي تبعته الهمة وثقعه القلة كلما شموا رائحة السلم من دولة جاءهم انذار

الحرب من اخرى سعيًا خلف الدين لا طلبا لسعة الملك فانه لو كانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التي هي جزء منها في الحقيقة ولكن المغايرة الدينية وسعي اوروبا في تلاشي الدين الاسلامي اوجب هذا التعامل الذي اخرج كثيرا من ممالك الدولة بالاستقلال والابتلاع . واننا نرى كثيرا من المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم اوروبا يذمون الدولة العلية ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الادارة وقسوة الحكام ولو انصفوها لقالوا انها اعظم الدول ثباتًا واحسنها تبصرًا واقواها عزيمه فانها في نقطة ينصب اليها تيار اوروبا العدواني لانها دولة واحدة اسلامية بين ثمانى عشرة دولة مسيحية غير دول امريكا وتحت رعايتها جميع الطوائف والاجناس والاديان وكثير من اللغات والفتن متواصلة من رجال اوروبا الى من ياثلمهم مذهبا او يقرب منهم جنسا وكل دولة طامعة في قطعة تحتلها باسم المحافظة على حدودها او وقاية دينها مع اتساع اراضيها وعدم وجود السكك الحديدية المسهلة للنقل والتحول وعدم وجود انهر مستمرة الفيضان في غالب اراضيها ووجودها تحت رحمة الله تعالى ان شاء امطرها فاحسبت او منعها فاجدبت وهذه امور لو ابتليت بها اعظم دولة اوروبية ماقاومت هذه الصواعق اكثر من عام او عامين وتسقط او تتلاشى . ولكنها تلام على اعطاء السكك الحديدية التزاما للاوروبيين بواسطة اناس يزعمون انهم من رعايتها ظاهرا وهم فرنساويون او انكليز باطنا فان السكك الحديدية بالنسبة الى المملكة كالشرايين بالنسبة الى الجسم فهي من اعظم

العلل التي سنتخذها اوروبا وسيلة للتدخل باسم وقاية املاك اتباعها ومن لنا بكف يد الوزراء عن مثل هذا التهاون ويكفي ما جرى وما ذهب منا سدى فان ارتكنا على الشروط فقد ارتكنا على اوهن من العنكبوت فاننا لم نقدر على تنفيذ عهدة برلين فيما يختص بنا وقد وقع عليها الدول فكيف ننفذ شروطاً بيننا وبين رجال جعلتهم الدول ذرائع للتدخل ووسائل لاسوء المقاصد . ولقد اذهلنا اعمال اوروبا التي لم تسمح لشرقي بامتلاك شبر في ارضها وهي تخرجنا من مساكننا ونقيم فيها بلا شروط معقودة ولا حجة مسجلة ولكنها معذورة فانها لم تجد من يعارضها او يجاريها فهي لا تعترف اننا معها في ثوب الانسانية بل نقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

ان دولة من دول اوروبا لم تدخل بلداً شرقياً باسم الاستيلاء وانما تدخل باسم الاصلاح وبث المدنية وتنادي اول دخولها انها لا تعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً فلا تقدم على العمل بل تفعل الشيء على قبول التجربة فان نفذ فقد مضى وان عورضت فيه التزمت التأويل كما تفعل فرنسا في الجزائر وتونس حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الاسلامي بل تنسخ مقابلها من احكامه ونشرته في البلاد واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم ولما لم تجد معارضاً اخذت تحول كثيراً من مواده الى مواد ينكرها الاسلام توسيعاً لنطاق النسخ الديني ولم نلبث ان جاريناها واخذنا بقانون يشبهه ان لم يكن هو هو ولم ينتطخ في اصلاح مواده المخالفة عنزان ثم تدخلت في الاوقاف واستولت على غلتها

ومنعت المستحقين وطردت كثيراً من خدمة المساجد اقتصاداً مالياً وتخفيفاً دينياً ثم رفت ضباط العساكر الوطنيين الكبار واستبدلتهم برجالها خوفاً من ثورة يدفعونها بها عن بلادهم أو يحمون بها دينهم ثم حجرت على المدارس تعليم بعض علوم شرعية والزمتم بتعلم لغتها والأخذ بالطبيعات والرياضيات حتى لا يشتم الابناء رائحة الدين لئلا يطمعوا انهم يغايروهم ديناً فيثورون عليهم أو يلتجئون الى دولة أخرى وهذه عواقب الالتجاء الى دول أوروبا والاغترار بوعودها الخلبية وشروطها المكتوبة بالماء على صفحة الهواء . وهذه دولة روسيا دخلت مرو وهرارة وبخارى باسم حمايتها من اعدائها وبعثت اليها بتجارتها فنفذت ثم رجال يساكنون اهلها فمضوا ثم بعساكر في الحدود فاقاموا ثم بشروط تربطها بها فأضيت ثم هي آخذة في تقدم لغتها هناك توصلًا لاعدام اللغات الوطنية التي يموت بموتها الدين وحمية الجنس والغيرة الوطنية وهذه انكلترة دخلت مصر باستدعاء اهلها واخذهم بناصرها بعلّة تأييد المركز الحديوي الشريف ثم زيد على تلك العلة علة بث النظام ووضع حكومة ثابتة تشابه حكومات أوروبا وقد بذلت مافي وسعها في التحسين والتنظيم بما يترأى لها ولم تجد غير آذان سامعة وايد عاملة ولكننا مع كثرة سماعنا وتعليمها لنا لم نقلدها في شيء مما دخلت لبثه فينا بل تركناها تفعل افعالها ونحن نتفرج عليها كأننا في ساحة سياوي يرينا من اعماله العجائب ونحن في حيرة من العابه المدهشة . ومن جهل اعمال انكلترة في مصر بيناها له ليري انه حقيق بما يوجهه اليها من النكير . اولاً اطلقت حرية المطبوعات والافكار فرأينا الجرائد الكثيرة نتكلم بما تريد وتصرف في افكارها كيف تشاء . هذه

نقول انا وطنية أنادي بأن خير البلاد وصلاحيها موقوف على جعل الاعمال بيد المصريين تحوطهم عناية الحضرة الخديوية الجليلة تحت مراقبة بريطانيا حتى اذا رأتهم قاموا بحكومة ثابتة مؤيدة بالقانون الحق النافذ وفوت وعدها واجلت جندها وتركهم يثمتعون بحريتهم في بلادهم كما تتمتع البلغار والجبل الاسود والسرب وغيره مما هو اقل من مصر بكثير والامة مرتاحة لها . وهذه نقول مصلحة البلاد موقوفة على زيادة نفوذ الانكليز ووضع الادارات تحت ايديهم بمساعدة النزلاء حتى يتهيأ المصريون لاستلام اعمالهم لا تبالي رضي عنها المصريون او غضبوا منها . وهذه نقول ان فرانسا هي الدولة الوحيدة في المحافظة على مصر وحقوق السلطان فيها وتأيد الخديوي ولا يضرها الا وجود الانكليز فيها . وهذه مذبذبة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهذه علمية تهذب النفوس وهذه توردهم من مصادرات الاديان ما يوقعهم في الشك والتردد وهذه دينية وهذه حقوقية وهذه طبية . ثم تركت المصريين يغدون ويروحون بين هذه المتناقضات وهم يتناظرون ويتجادلون لا رقيب عليهم ولا جاسوس ولما رأيت ان كثرة المؤثرات الفكرية لم تنبههم على طلب حقوقهم وظهورهم امامها بالتظاهرات الادبية استدلالاً على استعدادهم للقيام باعمال بلادهم تركت الجرائد تخوض في المواضيع المتضادة وتلعب بالافكار الجامدة ونحن في بحار اللهو غارقون . ثانياً انها كفت يدها عن الاعمال عند دخولها مصر وسلمتها الى المصريين ظاهراً لتقيم الادلة لاوروبا انها ما دخلت الا لتراقب المصريين وتشير عليهم بما فيه التوفيق بين مصالحهم ومصالح الدول ولما لم تجد امامها من يجعل هذا الظاهر باطناً يحصر السلطة في الذات الخديوية الفخيمة

والادارات في الوطنيين اخذت تقول وهم يفعلون حتى اصبحت تفعل وهم لا ينطقون وكانت تثقي باسمهم المطاعن الاوروبية حتى خلا الجو وأمنت الاعتراض فاخذوا يذمونها ويرمونها بخلف الوعد ونكث العهد وعدم الصدق وطول الباع في الخداع وهم غير محققين فانها ما دخلت الا لتعمل عملاً امام اوروبا فلما فوضوا اليها الاعمال استلمتها بهمة ونشاط . ومثلها ومثلهم كمثل لص دخل دار قوم وقال لهم حملوني ما عندكم من اثاث وحلى وآنية فاخذوا بحملونه ما يريد من غير معارضة فهل اذا دخل عليه البوليس واهل الدار بحملونه بايدهم يقول هذا لص كلا بل يقول انه صاحب الدار وهو لاء خدمه . اىرون ان الانكليز هم الذين نشروا منشور المومسات ورخصوا للنساء ان يخرجن للبغاء تحت حماية القانون . ام هم الذين سنوا كشف الاطباء على البغايا واعطاءهن "شهادات بانهن" صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراة بتحليل ما حرمه الله تعالى في كل كتاب . ام هل قالوا للمصريين ستنفق ملايين في المقاولات والاعمال الهندسية من غير ان نسأل عما نفعل فيها فاياكم والسؤال عن مبالغ ستكونون عبيداً مكلفين بسدادها الى روتشلد وغيره . ام هم الذين اعطوا الالتزامات الوابورية والارضية ووسعوا نطاق المعاهدات الى ان ضيقوا كل عمل مصري . ام هم الذين منعوا المصريين من زراعة الدخان والحشيش لتروج مزارع اوروبا بمخرب بيوت هؤلاء الضعفاء . ام هم الذين باعوا مهاتهم وآلاتهم بغير ثمن وربما اعطوا من اخذها شيئاً يستعين به على نقلها حتى تركوا البلاد محتاجة لمن يحرسها بالعصا او النبوت . ام هم الذين ابعدوا المصريين عن الخدمة

وحشروا الغرباء في المصالح حتى اصبح الوف من المصريين لا يجدون
 القوت ولا يعرفون لاستخدامهم مرة ثانية سبيلاً . ام هم الذين قللوا من تلامذة
 المصريين في مدارسهم واكثروا من استخدام الاجانب فيها وتدرجوا لاماته
 لغتهم الوطنية بفرض المكافآت لمن ينبغ في الانكليزية لتنسى لغة القرآن فينسى
 بها الدين الواقف عقبة امام اوروبا كما يصرحون بذلك في مجالسهم واندية شورايم .
 لا والله ما نالوا أملاً ولا قارفوا عملاً ولا اذلوا رجلاً ولا خربوا بيتاً ولا
 هتكوا حرمة الا بالمصريين . ماذا على الانكليز اذا سعوا في ربح تجارتهم
 واستخدام ابنائهم ولم يجدوا عائناً ايرجعون وهم لهذا مرتحلون . ومن يلومهم
 اذا وجدوا طريقاً لتوسيع ممالكهم لا خوف فيه ولا عقبات ايتركونه وهم في
 جميع بلاد الدنيا طامعون . كانوا يرون ان المصريين اذا راوا دولة حرة
 دخلت بلادهم لتأيد خديويهم واصلاح بلادهم وتعريفهم حقوقهم بين
 الامم تجمعوا حول اميرهم حاملين كرسي فخامته على رؤسهم منادين باسمه
 قائمين بتنفيذ اوامره محافظين على حقوقه مستميتين في اختصاصهم باعمالهم
 والقيام بشعائر دينهم مجتهدين في حفظ الامن وخدمة البلاد حافظين
 لحقوق الاجانب والغرباء النزلاء والمجازين جاءلين محافلهم التي استخدمتها
 اوروبا في مصالحها محافل وطنية تستخدم اوروبا في مصلحتهم فكانت تساءلهم
 على هذه الامور التي تعهدت لاوروبا ان تعلمها للمصريين وتوهمهم اليها ولكنها
 رأت غير ما ظنت فلا لوم عليها اذا وضعت قدمها على عاثمنا لتعلو جواد
 الفخر والخيلاء .

لماذا نتالم من اعمالها وامرأونا اقتصروا على القعود في القصور وركوب

العربيات للتفسيخ في المنتزهات وعقلاؤنا صامتون لا ينطقون بكلمة رجاء او صوت استصراخ وضعفاؤنا حيارى ينتظرون هوّلاء وهم عنهم لاهون ونبهاؤنا في المحافل يتحاورون ويتناظرون بما لا يفيد الوطن والملك شيئاً متعللين بان محافلهم لا تتعرض للسياسة ولا للدين فاذا انصرف النبهاء عن وجهتي السياسة والدين فبمن تقوم الاعمال ويتقوم اود الحكومة ويبقى عمود الدين قائماً كبقية الاديان . ابالاخاء الذي ربطناه بين الاجنبي نتخلى له عن مرجع المجد واصل الشرف . وهل تريد اوروبا ان تنتصر علينا في حرب عوان باكثر من صرف نبهاء البلاد عن النظر في الملك والدين ليخلو لها الجو فتفعل ما تشاء وتغير ما تشاء مع ان النبهاء يمكنهم ان يستخدموا محافلهم في مصالح بلادهم فيتمكنوا بقواهم العقلية مما لا يمكنهم منه سيف ولا مدفع من غير اثاره فتنة او اراقة قطرة دم ويصلحون ما افسده الاغترار والانخداع ويحدثون في البلاد عصبية وطنية لا تردها اعظم امة عن مشربها المصري وسعيا المؤيد بربط القلوب على عزيمة واحدة صادقة . وما الذي استفاده النبهاء المصربون من الاخلاط والامشاج غير تقدم الغير وتأخرهم واتخاذنا بيت مال لفقرائهم وعجائزهم . دعونا من المجاملة في الكلام والتستر بما استهجنه العقلاء ما ابتدعت المحافل الا لتصير الممالك دستورية وقد نجحت في ذلك وقلبت كثيراً من ممالك اوروبا وحيث اننا بين يدي حكومة دستورية فلم لنؤيدها بعصبية وطنية ونظهر من اعمالنا ما نفتخر به انكلترة امام اوروبا والا فان بقي الامراء في البيوت والنبهاء في المحافل على ما هم عليه والعقلاء صامتين والضعفاء طائرين حول اوهام الاجنبي وارهابه

والخدوي الاعظم ينظر الى هذه الجموع نظر الاب الرحيم الى الأبناء العاقين
فلا نعترض على بربر افريقية فضلاً عن الانكليز اذا جاؤا واخرجونا من
مساكننا وابعدونا عن عائلاتنا وتمتعوا بما نخلفه لهم من عرض ومال ومتاع
وعقار . مضت والله ايام التقاعد والاعتزال بالترهات وصرنا بين يدي خديوي
يريد ان نجاري الانكليز في الاعمال الاصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية
ونحن عن ارادته السنية ساهون . ويجب ان نتقدم في التجارة والصناعة
والزراعة والمعارف ونقبض على ازمة امورنا ونحفظ عرشه المصري بالمصريين
ولكننا عن نظره العالي عمون . يتألم من ضياع المصري والاستخفاف به
وتركه في زوايا الاهمال اكثر من تألم المبعدين ولو احسنا بما عنده من
الآلام لبتنا لمضاجعنا جافين . ان اوروبا تنظرنا من بعيد لترى اعمالنا وما
نتقلب فيه من الاحوال وما تهدينا اليه انكلترة مما نويد به الخديوي الافخم
مكشورها التداخلي ونحن عن هذا كله لاهون . كفوا ايها المصريون عن
ال قيل والقال فقد عبرتنا الامم باننا نقول ولا نفعل واظهروا بين يدي
انكلترة برجال يسرها تجمعهم حول اميرهم الذي جاءت تؤيده واطلبوا منه
حقوقكم المقدسة واشكروا انكلترة على ما اوصلتكم اليه من الحرية التي تركتكم
تظاهرون تظاهراً اديباً طلباً للحقوق وسعيًا خلف الحقائق والامتيازات الوطنية
فان كل انكليزي يراكم في هذا التقاعد وهو يدأب في عمله الليل والنهار يقول
لو كنتم مثلنا لفعلتم فعاننا

كلكم قائل « بيدي لا بيد عمرو » مضت السنين العشر التي قابلتم
غرتها بالافراح والزين وطرتم فيها حول الاوهام طرباً وسروراً وعميتم عن سوء

العاقبة فانشد شعراؤكم القصائد الطنانة الرنانة مدحاً وثناءً وشربتم الخمر
 جهاراً باسم من استعد يتموهم على بلادكم ونصرتوهم بتشبيط اخوانكم وبذلتهم
 اموالكم وارواحكم في دخولهم البلاد والتخلي لهم عما بايدكم من الاعمال . ولظالما
 طأطأتم الرؤس وحنيتهم الظهور وركعتم امامهم تعظيماً وتسليماً وبصقتم على
 وجوه اخوانكم ولبستم اجمل ثيابكم تنتظرون يوماً يقتل فيه مائة الف
 مصري . فهذه الايام تريككم كيف تدور الدوائر وكيف تثقل الاحوال
 بالاهوال علي من لم يقرأ العواقب ومن يلقي نفسه بين نيوب الضل خائفاً
 من العظاية (السحلية) فقد ابدلت المصائب الولايم الاجنبية بالمايم الفقرية
 ودعتكم لتكسير اعواد الطرب والسرور وضرب دف النذب والرناء . وهل
 تجزون الا ما كنتم تعملون . مضى امس بخيره وشره وجاء اليوم بتحذيره
 وانذاره وقد سار المرحوم افندينا توفيق باشا الى جنة ربه . وزين عرش
 الحكومة المصرية للمعوظ بعناية الله تعالى افندينا عباس باشا الثاني ولا عسكرية
 تطلب منه حقوقاً وطنية فيقال انها تريد ان تستبد عليه او تضعف سلطته فأولى ان
 يستعين بدولة كذا . ولا خوف عنده من اجنبي يهدده بمنشور ينشره ليجعله
 وسيلة للتدخل العدواني . ولا احزاب بين يديه فرقهم الضغائن الباطلة
 فشقوا عصا الجامعة الوطنية والوحدة الدينية بوسوسة جاهل ونزغ محتمل .
 بل هو الهام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع اجناس رعيته على اختلاف
 اديانهم الساعي في منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الادارية وما يحتاج
 في تنفيذ ارادته الا الى رجال نبهتهم صدمة اوروبا الى الرجوع عما هم فيه
 من الاغترار والاستغفال فحاطوا اميرهم مخلصين في انقيادهم اليه لينادي بهم

رجال انكليزية قائلاً هؤلاء رجال الدين تريدون ان تؤيدوا بهم حكومتي
النظامية فضعوا الاعمال في ايديهم واختبروهم فيما يقومون به من الاعمال .
هؤلاء الذين ربّتهم مصر وشهدت لهم اوروبا ووقفوا مع سابقهم تسعين سنة
يديرّون الاعمال بانفسهم ويصلحون البلاد حتى حاصكوا بها مدن اوروبا
الشهيرة بل ربما وجد الاجنبي فيها من الراحة ما لا يجده في اعظم مدن اوروبا
هؤلاء الذين قلتم لاوروبا اذا وجدنا قوماً لهم قدرة على الاعمال وفيهم
استعداد لحفظ الامن ونشر المدنية سلمناهم بلادهم وودعناهم بسلام فهلا
جربتموهم في عمل . هؤلاء الذين لا يحتاجون لمجاعة غلادستون في سياسته ولا
بسمارك في خدائه ولا القيصر في شدته فانهم يديرّون اعمالاً بسيطة مكفولة
بالقوانين والنظمات ليس فيها سعي خلف استثمار ولا اجتهاد في نشر
دين ولا تحايل على توسيع حدود فاية صعوبة في مثل هذه الاعمال .
هؤلاء الذين جئتم لتأييدهم في مراكزهم ودفع يد العدوان الوهمي عنهم
وقلتم في مصر من الرجال فلان وفلان ولا يحتاجون الا الى مراقبتهم مدة
قصيرة في ادارتهم الجديدة . هؤلاء الذين درسوا اعمالكم وحفظوا نظامكم
ووقفوا منتظرين لتحقيق الآمال وصدق الوعود فعلام تعبون في تهذيبهم ان
كانوا لا يصلحون . وماذا ترجون منهم بعد تعليمهم اصولكم العسكرية والادارية
والمالية والقضائية ان كانوا لا يفلحون . هؤلاء الذين هم احق واولى
من غريب تستخدمونه باموالهم المتحصلة منهم وتنفقون عليه من ذهب ما
دفعه اوروبي ولا حصة غير مصري . فاي مانع يمنع المصريين من
المطالبة بحقوقهم بالتظاهرات الادبية اصرنا اقل درجة من فعلة الانكليز

والغزاليين الذين تعصبوا لحقوتهم وتجمعوا لراحتهم واذهلوا العالم بافعالهم التي ما دخلها شغب ولا تخللها خلل . وكانى بدخيل يوسوس للاجانب قائلاً ان الاستاذ يدعو الى ثورة مصرية بهذه العبارة فقد تعودنا سماع الاراجيف من الدخلاء وتسليط الاوروبيين على كل بلد نوذي فيه بالمحافظة على وطنيته ونحن نضع حجراً في فم هذا الدخيل قبل ان يحرك شفطيه بكلمة اغراء . ان المصريين قد جربوا انفسهم في التظاهر بالقوة فوق شفقهم بينهم وبين الظفر بالمقصود وهم شاكو السلاح كثيرو العدد والعدد والآن لا قوة بايديهم ولا سلاح وقادة الجند من الاجانب ولا يحمل العسكري الا بندقية فارغة حكمها حكم عصا الراعي ولا موجب لحركة الاهالي حركة عدوانية بعد خضوعهم لاميرهم وانقيادهم اليه في السر والعلن وقد تادبوا وعلما دسائس اوروبا وتنهبوا لمقاصد الدول وسعيهم في اتخاذهم آلة لبلاوغ ما ربههم لا لمصلحة المصريين معاذ الله ولا لمنفعة المسلمين استغفر الله فما من مصري الا وهو يعلم الآن ان اوروبا لا تصدق في قول ولا تفي بوعد ولا تحب شرقياً ولا تسعى في خير مصري وانما هي ملاعب سياسية يقدمونها بين اعين الجهلاء الذين لا خبرة لهم بدهاء الدول ومظامعها يستميلونهم بها استمالة الطفل بقطعة حلوى او ثوب منقوش . ومن انتهى بهم الامر الى الوقوف على الغايات والمقاصد السيئة مع فراغهم من المعدات الآلية وعدم حاجتهم اليها يستحيل عليهم ان يكدروا صفو الراحة بشغب اصوات فضلاً عن قعقة سلاح . وما يدعوهم الاستاذ الا الى مجازاة الاوروبيين فيما هم فيه من معرفة قدر نفوسهم والمحافظة

على حقوقهم ولغاتهم واديانهم وعوائدهم والدأب خلف الاستقلال بأعمال بلادهم فانهم لا يجهلون ان كلاً من البلغار والسرب والجبل الاسود ورومانيا اقام تحت تصرف الدولة العلية اكثر من خمسمائة سنة وفي هذه المدة ما استطاعت الدولة ان تغير دينهم او لغتهم او عاداتهم بل حافظوا على الاصلين العظيمين اللغة والدين وزاحموا ولاية الترك في الاعمال والادارات واكثروا من الصياح والاستنجاد حتى وقعت الحرب الاخيرة واستنقلوا فلم يحتاجوا لتجديد لغة او عهد دين او اعادة معبد ووجدوا انفسهم هم الذين كانوا قبل ذلك بخمسمائة عام وقد قوبلوا على ذلك بمدح جميع اوروپا وثنائها عليهم وكان من اعظم المساعدين لهم بل المحركين لهم نفس انكسرة التي تريد ان نجاريها في اعمالها او نجاري من انجدهم من بعيد ونحن اقرب اليها من حبل الوريد . والاستاذ يعرض مقالته على كل عاقل منصف مصرياً كان او غير مصري واظنه لا يسمع الا قول المخلصين انها اخبار بحقائق وطلب بحقوق لا تمس شرف رجل ولا تتعرض لامة ولا تطعن في سياسة وانما هي محض درس تهذيبي لمن يسوءهم قول الاوروبيين لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قضى المسلمون مع الاقباط ثلاثة عشر قرناً وهم في اختلاط اهل بيت ومعاملة عشيرة واتحاد عائلة ماجرى بينهم يوماً واقعة عدوانية مسببة عن اختلاف الدين كما نشاهد ونسمع من طرد اليهود من بلادهم وسلب املاكهم وحلبهم واستحلال تعذيبهم وسوقهم الى سبيريا حفاة فيهم القيود والاغلال وتخويرهم بين الانتقال من دينهم او الرضا بالاشغال الشاقة في سبيريا التي هي

جهنم العذاب او جهنم شبيهة بها . ولا فعل معهم المسلمون مثل ما فعلته فرنسا مع الجزويت وهم اخوانها في الدين وان اختلفوا في المذهب ولا مثل ما فعله الباغار مع المسلمين من هدم مساجدهم وقتلهم وهم في الجمعة يصلون ولا مثل ما فعله الروس في الشركس الذين اضطروا لترك اوطانهم واثاثهم وماشيتهم وهاجروا الى بلاد الدولة مشاة لا يحملون الا اجسادهم . بل بقينا معهم كل هذه المدة نتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار فلم نسع في شق عصا اجتماعهم وتفريق كلمتهم لتتخذ ذلك ذريعة الى امر مطوي في باطن المستقبل ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتدخل بها في شان مصر باسم راحة المسيحي والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الاقباط حريتهم في عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجاباً بين مصر وبين تلك الدعوة التي تعودتها اوروبا تغريراً وتضليلاً وفتحاً لباب الحروب بعالم وهمية لا وجود لها في الخارج . ولهذا نرى المسلمين متألمين من انشقاق اخوان الوطنية وحل رابطتهم التي مضت عليها القرون الكثيرة وهي اوثق رابطة عقدت عليها القلوب لا الخناصر والكل يهجمس ويخمن في الباعث والعاقبة فقد ادبتهم مساغي اوروبا الخيرية ووجدوا تحت كل نصيحة من نصائحها اساليب شتى للاذلال والاستعباد على ان الامر لو كان متحيز القبطية لساء المسلمين تنافرهم وهجرهم كنائسهم ومقابلة بعضهم بعضاً بصدور ممتلئة غضباً وحقداً بعد ان كانت وعاء اللفة ومحبة وهذه ثمرة المخالطة الاجنبية وحسنة من حسنات اوروبا التي نتصدق بها علينا . ولسنا نتكلم في الشقاق من حيث داعيه وانما نتألم منه

من حيث هو شقاق بين طائفة صغيرة يكفي في فصل القضاء بينها احد العقلاء حرصاً على الجنسية والجامعة الوطنية وجبراً لصدع قلوب كلهم فروع اصل واحد ولا نتكلم على الباعث الديني باكثر من أملنا في التوفيق بين الفريقين وسد الاذن عن سماع الاصوات الاجنبية التي تحرك النفوس وتظلم القلوب وتدخل المجموع تحت كلبية اتفقنا واختلفتم لو كنتم مثلنا لعلتم فعلنا فيا بني مصر لم تبق قطعة في الارض الا والجرائد تنقل لكم اخبارها وترىكم اعمالها فاذا لم تكونوا اهلاً للاختراع كما قال لكم احد الانكليز فقلدوا عقلاء اوروبا في افعالهم وكفاكم الاغترار بترهات المضلين واللباذ بالاجنبي الذي سلبكم ثوب المجد ولم يبق الا ان ياكل لحمكم ويشرب دمكم غيظاً على امة تدفعها الطوارئ الى وهدة المصائب وهي قادرة على دفعها ولا تتحرك ولا حركة مذبح . لبعد المسلم منكم الى اخيه المسلم تأليفاً للعصبية الدينية وليرجع الاثنان الى القبطي والاسرائيلي تأييداً للجامعة الوطنية وليكن المجموع رجلاً واحداً يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر للمصريين . ايكفيننا من الثروة ان نرى اكبر تاجر منا لا تزيد ماله عن عشرين الف جنيه واذا عددنا هذا القسم قلنا واحد اثنان فاذا انتهينا الى التاسع وقفت بنا الاعداد اما تتحرك الهم الخامدة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيراً وتفتح بيوتاً اغلقت ابوابها او كادت اعجزنا عن مجارة الامم حتى في هذا العمل الذي يقوم به الاميون والجهلاء الذين تبغثهم ضرورة المعاش الى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد . ألا نقدر ان نعقد شركات تشري اجزاء من اطيان الدومين او الدائرة لتربحوا منها

وتستخدموا فيها اخاكم الفلاح وتعوضوا بعض ما اضاعه الاسراف في الملاهي والخروج عن الحد وصيره في يد الاجنبي . افلا يحسن في اعينكم ان تفتحوا مدارس لابنائكم تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتعملون بينهم وبين الوجهة الاوروبية التي تفرسها ببلادنا مدارس اوروبا في اذهانهم تداركهم قبل ان تفقدوهم . عرفوهم انكم آباؤهم قبل ان ينكروكم . لقنوهم ما انتم عليه من الدين قبل ان يخالفوكم . حفظوهم تاريخ بلادكم واجدادكم قبل ان يجهلوكم . ردوهم الى الوطنية قبل ان يعملوا سلاح العداوة لينقربوا بدمائكم الى من ربوهم وتبنوهم « جاوز الحزام الطيبين » وورق السهم من الرمية واصبح لفيهم ينادي غافلکم

فان كنت ما كبراً فكن خيراً آكلي والا فأدركني ولماً أمزق وارحمته اصبية وضعهم الله تعالى امانة في ايدينا فبنناهم واسلمناهم الى اجنبي يسقيهم شراباً مشربه الآباء ويسوقهم في طريق ماسلكه الاجداد وكلنا يعلم ذلك علم اليقين وفيه القدرة على حفظ ابنه من هذه النزغات السيئة ولا ندري ما يمنعنا من ذلك الاخذت ابناءؤنا في الحديد وسيقت الى هذه الساحات الاجنبية لا والله . ام اكرهنا الحاكم على ارسال ابنائنا الى الفرير والامريكان وغيرهم لا والله . ام جهلنا ما يتعلمونه من مغاير الدين واللغة والعادات لا والله . نحن الذين سلمناهم بايدينا وصرفنا على اخراجهم عنا من مالنا ورضينا بما هم فيه من النقل وسوء التعليم فنحن عنهم بين يدي الله مسؤولون . نعلم ان اوروبا لا تعطي شهادة لتلميذ الا اذا احسن لغته كل الاحسان ولا تدخل تلميذاً يغاير التلامذة مذهباً الا اذا صلى على مذهبهم او

يعدونه عنهم وتنقل لنا الجرائد اخبارهم وسعيهم خلف تعليمهم الوطنية وحقوق الجنسية فهذه انكلترا الحريصة على جنسيتها المتعصبة لدينها اشد التعصب تطالب الامة بتعليم ابنائها حقوق الوطن والجنس مع انه ليس وراء ما هي فيه من ذلك مطلب لطالب . وهذه فرانس تصدر المناشير الى الكنائس تلزم الامة جميعها بالصلوات لله تعالى رجاء ان يخلصها من العراقل التي هي فيها وهاتان الدولتان اللتان تدعيان انحصار المدنية فيهما فلم لا نقلدهما في المحافظة على الوطنية والجنسية والدين وننادي بذلك في القرى والمدن وحجنتنا حجنتهم وحاجتنا حاجتهم . نرى كثيراً من الشرقيين بل المصريين يحومون حول حمى الاجنبي لياذا به وطلبا لمعروفه فهل تناول منه الا لقمة لو لم يجده ل طرحها للكلاب لكونها فضلة طعامه وفتات خوانه وهل جلس في حضرته الا مهينا مزدري منظورا اليه بعين الاحتقار بل الاستعباد وهل مكنه من اضعف الاعمال الا ليستعمله آلة في تنفيذ آماله وتحقيق امانيه وهل بش في وجهه مرة الا ليدخل عليه غفلة الرحمة والحنان ليصرف نظاره عما يراه من سلب الحقوق . آن والله ان يتبصر المصري ويشابه رجال اوروبا في الاخذ بالحزم والاعتماد على صدق العزم حرصاً على ما بقي وطمعاً في فرص المستقبل وتحقيقاً لآمال الانكليز في صلاحنا على ايديهم حتى لا ييكتونا بقولهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

« طول العمر يبلغ الامل » وبالرفق يستخرج الانسان الحية من وكرها فلا يحملن الطيش الاحمق منا على التهور والتخلق باخلاق البهيم فاننا نعلم ان صيانة بلادنا موقوفة على حفظ الراحة ومعاشرة الاجانب والنزلاء.

بالمعروف وبقائنا على الهدو والسكون وبعثنا عن الفتن التي يحركها الدخيل
والاجنبي لمصلحة دولته فيجني ثمارها وبلحقنا عارها وناهيكم مذبحة الاسكندرية
التي تعيرنا بها اوروبا الى الآن وهي تعلم من احداثها من رجالها بحيث
تسميهم رجلاً رجلاً ونقدر ما صرف للاجراء جنياً جنياً وقد نجت من
نسبتنا اليها وجعلتها قوباء في غرة مصر ومصر بريئة منها براءة الذئب من
دم ابن يعقوب ولا ننسى العار الذي الحقه بنا بعض المأمورين في فتنة
طنطا التي دفعته اليها اليد الاجنبية ايضاً فباء بخزي الدنيا وعذاب الآخرة
ولحق بيته غير ما جور على سعيه ولا مشكور على فعله وهذا جزاء ضعفاء
العقول الذين يتجرأون على ضرر عباد الله واهلاكهم في مصلحة من يرضيهم
بما لا يساوي فلامه ظفر انسان تالله انه لو جاز لمصري ان يصرح بكل
ما يعلم لذكرنا من الحقائق العدوانية ما يكون عبرة وذكرى لقوم
يعقلون . وفي الاشارة ما يغني عن الخبر . فاعتبروا يا اُولي الاباب . ومن
لم يقرأ العواقب وقع في المعاطب . والعاقب من اعتبر بغيره . فالله الله ايها
المصريون في انفسكم واميركم واعراضكم واموالكم وبلادكم . جاهدوا
انفسكم في توحيد كلمتكم وارجعوا بحافلكم عن ابواب اوروبا وفتنها
واخدموا بلادكم بظهوركم امة واحدة واقفة على قدم الخدمة لاميرها والمحافظة
على حقوقها والمطالبة بخصائصها ولا تشغلكم المظاهر الاجنبية عن تصحيح
اغاليطكم وتطهير بواطنكم ولا تظنوا انكم عاجزون عن استرجاع مجدكم
والقيام باعمالكم فانما انتم بشر مثل رجال اوروبا ولكنهم تجمعوا وافترقنا
وعرفوا حقوقهم وجهلناها ورفضوا نصائح الغير وقبلناها وحفظوا دينهم ولغتهم

وجنسيتهم وتهاوناً في البعض وتركنا البعض فاذا جاري بناهم في طرقهم الوطنية
ساويناهم في الخصائص والمزايا ودوناً لنا تاريخاً جليلاً يفتخر به الابناء
وترحم بسببه الآباء . عما قريب تنبش قبوراً بآئكم واضرحة عبادكم وساداتكم
لتؤخذ تلك العظام النخرة الى معامل سكر اوروبا حتى لا يبقى هناك
اثر لذي مجد من الشرقيين فان خفتم من ذلك فاتخذوا اعظم الوسائل
لبقاء موتاكم متوسدي تراب قبورهم فاننا نرى الاوربيين ينقلون عظام
موتاهم من بلاد حاربوا فيها ليحفظوها في اوطانهم حتى يزورها الآتي
ويقرأ تاريخها العجيب . لا تظنوا ان هذا لسان التخريف او التزييف فانكم
ان استبعدتم الامر وانتم على ما انتم فيه من التهاون والاهمال فكل ما
هو آت آت وان تنبهتم لذلك وحافظتم على اوطانكم بالمحافظة على امتيازاتكم
المكفولة ببقاء الخديوي الاعظم في منصة حكمه مؤيداً بخضوعكم اليه وتأيدكم
مبادئه الوطنية واعماله الاصلاحية رضي الله عنكم وارضاكم وحفظت اضرحه
ساداتكم وقبور موتاكم . وما ذلك بمزيز على امة خالطت كل الامم وقرأت
تواريخ الممالك وتعلمت كل ما يلزم للوطن وحكومته وساح فريق منها بلاد
اوروبا وعرفوا طرق التقدم والاصلاح . افيليق بمن هذه صفتهم ان يكون
غاية تهذيبهم قعودهم على القهاري وفي الخمارات او اجتماعهم للتشائم والتقاذف
بالمذام والسعي في المضار لا والله ان هذا لمن اكبر العيوب واعظم المصائب
ومن لم تنبهه الحوادث فهو الغافل ومن لم يؤدبه الماضي اضربه الآتي افلا
يحركنا قول اوروبا لو كنتم مثلاً لفعلتم فعلنا

« انا اخوك فلم انكرتني » ما الشام ومصر الا توأمان ابوها واحد يسوء

الاثنين ما ساء احدهما فلم تنافر ابناؤهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وان ساء كنوهم في مصر الم يكن الاجدر بنا ان نصرف عاومنا ومعارفنا وقوانا العقلية في صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها . ابراثب قدره عشرون جنيتها يبيع المرء منا اخاه ووطنه بل جنسه ودينه ام بكلمة تغدير نصرف حياتنا في خدمة الاجنبي لنعينه على اخواننا لنتقم منهم بغير ذنب وبمجنبي على غير جان . بشس والله ما اوصلتنا اليه هذه الخزعبلات التي نسميها معارف وآداباً . زرعنا الاحقاد في قلوبنا بغياً وعدواناً . اهلكنا انفسنا بالعداوة في غير مصلحة جهلاً وحماقة . فضحنا انفسنا بنقل عوراتنا للغير سفاهة وجنونا . بعنا هيئتنا الاجنبي بلا ثمن خيلاً وبلاهة . ولو اجتمعت كلمتنا وائتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هذه الهمم في حفظ الوطنيين واءلاء كلمة الجنس لخصدتنا الى ووقفت اورو باتتظرنا بعين الاعظام والاجلال ولكن قضت شقوة الشرقيين ان يكونوا كخطب النار ياكل بعضه بعضاً لينتفع الغير بنارهم اصطلاءً وطجناً واستعمالاً فيما يشاء . والعهد قريب والعود غير عسير فما نتكاف في جمع الكلمتين وتوحيدها اكثر من الانصراف عن شياطيننا الذين قاموا فينا خطباً ووعاظاً بدروس يتلقونها اليوم بعد الاخر عن الاجنبي وتبادل الزيارات والمسامرة في الجامع واخلاص السير وما ذلك على الله بعزيز . والا اذا بقينا على هذا التنافر والتضاد اتخذنا الاجنبي آلات لتنفيذ اوامره فيوقع بيننا العداوة والبغضاء وربما انتهى الامر الى ما لا تحمد عقباه بجهالتنا واعتمادنا على العضد الاجنبي وفي ذلك من الخزي والعار ما لا تحوه اكبر الحسنات . واأسفاه على رجال قضى اباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان

لا يفرق بينهم دخیل ولا یقطعهم عن بعضهم اجنبی فجاءوا من بعدهم وخالفوا
سیرهم وحالفوا غیرهم وخدموا الاجنبی بمساعدته على التداخل فی بلادهم
بل على الاستیلاء علیها لاعداءه بین الامتین ولا لحرب جرت فی الوطنین
بل برغیف یحصله الزبال وخرقة یملکها الشحاذ . وان قیل ان جامعة الدین
اضطرتهم قلنا ان عز الاستقلال بالوطنیة خبر من الازلال بجامعة الدین فان
الاجنبی یفر الرجل منا حتی یوصله الى غرضه ثم یلحقه بغيره عند تمام الاستیلاء .
ولا یعرف له حقاً غیر خدمته ولا یفرق بینہ و بین من غایره دیناً فی الاستخدام
والاستعباد . انقول هذا وقتنا فنحصل فیہ لذاتنا البدنیة البهیمة ولا نبالی
جاء المستقبل على اهلنا و اخواننا بالعر او بالهوان . بش ما یختاره الرجل
لنفسه من ان یطعم لقمته مغموسة فی دماء جنسه و اخوانه . ان البهیم یدافع
عن جاره فضلاً عن نوعه فكیف یرضی العاقل ان یمکن اقل فضیلة من البهیم .
ان کان هناك اعتقاد بحیة و نار فتقربوا الى الله بما یدخلکم به جتته و لیس ذلك
الا البعد عن مساعدة الاجنبی على اخوانکم وان کان الاعتقاد وجود الله
وخلود النفس فقط اولا رب ولا إله كما یقول الفريق المدنی الاحمق فیعضوا
صحائف التاریخ بمجد خالد و ذکر جمیل وان کان لا اعتقاد رأساً ولا مجد
ولا شرف و انما هی بهیمیة معضنة تبعثنا الطبیعیات فیها الى ما لا تعلق للعقل
فیہ فیا سوء ما وصلنا الیه . وبالجملة فان آخر الدواء الکی وقد بلغ السیل
الرئی فان رفاؤنا هذا الخرق و شدتنا إزر بعضنا و جمعنا الكلمة الشرقیة مصریة
و شامیة و عربیة و ترکیة امکننا ان نقول لاوروبا نحن نحن و انتم انتم وان بقینا
على هذا التضاد و التخاذل و الیاذ بالاجانب فریقاً بعد فریق حق لاوروبا ان

تطردنا من بلادنا الى رؤس الجبال لتلقنا بالبهيم الوحشي وتصدق في قولها
لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

—*—

الاستاذ والمقظم

اطلعنا احد قراء المقطم الابج على عبارة فيه نصها — ذكرنا في عدد
اول امس من المقطم نبذة تحت عنوان سد الاسكندر واصلاح خطاء اوضحنا
بها ما وقع من النقص عند طبع الفقرة التي وردت في مقتطف الشهر
الماضي ثم رأينا امس في جريدة الاستاذ الغراء كلاماً على الفقرة التي وردت
في المقتطف وذلك بعد ان نشرنا الاستدراك المذكور آنفاً في المقطم وكان
بنشره غني عما اطال به حضرة الاستاذ الفاضل وخصوصاً بعد ان تبين له من
خلال الاستدلال انه لم يكن قصد المقتطف التعرض لامر الدين بوجه من
الوجوه جرياً على خطئه التي لم يحد عنها منذ سبع عشرة سنة حتى الساعة
كما شهد الاستاذ الاغر بذلك في اثناء كلامه اما الآن وقد ثبت له حقيقة
قصد المقتطف من تلك الفقرة وهي عدم وجود دليل تاريخي على كون باني
السد الاسكندر المكدوني او هو غيره من ملوك حمير فالذي يؤمل من
حضرتنا ان يصلح ما تعجل في كتابته رعاية لأدب الكتاب ونقريباً للصواب
وله منا الشكر الجزيل اه فقلت له كان على المقظم الاغر ان يقتصر على شكر
الاستاذ الذي نبهه وبعد عن الظن السوء في المقتطف فان احد افاضل
السوريين حضر عندي بعد طبع المازمة التي فيها الملاحظة على عبارة
المقتطف وقرأت عليه العبارة بنفسه فتوجه الى ادارة المقتطف ونبه على